الصباح الإسلامية
09
العدد 3271 - السنة الحادية عشرة
الخميس 11 جمادى الأولى 1440 - الموافق 17 يناير 2019
Thursday 17 January 2019 - No.3271 - 11 th Year

الذي يكره الخير للخلق واهن العزم كليل اليد جاهل بربه

الحسد جمرة تتقد في الصدر فتؤذي صاحبها والناس

وقد حرّم الإسلام الحسد، وأمر الله رسوله أن يستعيذ من شرور الحاسدين لأن الحسد جمرة تتقد في الصدر، فتؤذي صاحبها وتؤذي الناس به والشخص الذي بتمنى زوال النعم ثقة تحذر غوائلها على المجتمع، ولا يطمأن الى ضميره في عمل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد، الايمان والحسد»، وقال: «اياكم والحسد، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

والرجل الذي يكره المنعم عليهم، ويود لو يمسون محرومين ويصبحون ضائعين، رجل ضللته عن حقيقة الحياة، ظلمات شتى، انه اولا محصور بالدنيا ومتاعها، يقاتل عليه ويبكي وراءه، ويتبع بالغيظ من نالوا نصيا ضخما منه وهذا خطأ في تقدير الحياتين، بل لعله جهل او ذهول عن الحياة الاخرى وما ينبغي لها من استعداد، يجب ان يتأهب المرء له، ويأسى لفواته، قال الله تعالى: «يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون»، ثم ان الحاسد بعد ذلك، شخص واهن العزم، كليل اليد، جاهل بربه وبسننه في كونه، ذلك انه لما فاته الخير لأمر ما تحول بكيد للناجحين! حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالكل اعداء له وخصوم وكان اجدى عليه ان يتحول الى ربه، يسأله من فضله، فان خزائنه ليست حكرا على واحد بعينه، ثم يستانف السعي في الحياة بعدئذ، فلعل ما عجز عنه في البداية يدركه ثانية، ان هذا لا ريب اشرف من الضغينة على الآخرين.

والبون بعيد بين الحسد والطموح، وبين الحسد والغبطة، وبين الحسد واستنكار العوج في الأوضاع والخلط في المنع والعطاء! فالطموح رغبة في الرفعة وسعي اليها، وذلك من شأن الصالحين من عباد الله . قال سليمان: «قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب» وقال عباد الرحمن: «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما». والتطلع الى فضل الله مع الأخذ في أسباب اكتسابه شيئا، غير كراهية فضل الله عندما ينزل بانسان معين والغبطة رغبة المرء في الحصول على نعمة مماثلة لما أكرم الله به الآخرين.

ولما كان تطلع الانسان الى غيره، قد يكون فتحا لأبواب الفتنة، وتعلقا بالمنى الباطلة، واشتهاء لما يحسبه الشخص نافعا له، وهو في الحقيقة ضار به، أرشد الإسلام الى ما ينبغي طلبه، والتنافس فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد الا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها». والحسد في الحديث: تمني مثيل النعمة، لا تمني زوالها. والمقصود ان يكون المثل الأعلى الذي يستهدفه الانسان جليلا رائعا، فان من سقوط الهمة ان ترتبط الآمال بالتافه من الاحوال.. وهناك شؤون يعتبر التشبث بطلبها عبثا لا يورث الا الحسرة، وقد ينتهي بالحقد على الناس، لا لشيء الا لأن الله خصهم بمواهب فطرية او بمنافع تقوم على هذه المواهب. وفي هذه الشؤون وأمثالها يقول الله تعالى: «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما».

وأما استنكار العوج في الأوضاع، فهو القرار للعدالة الواجبة، وليس من قبيل الحسد المذموم فاذا غضبنا لأن هذا أخذ الكثير على جُهد قليل، او رفع الى درجة لا ترشحه لها كفايته، فهذا الغضب مفهوم ومحمود، وهو ضرب من رعاية المصالح العامة، لا صلة للحقد الشخصي به.

ان الاسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين، ليغسلها من أدران الحقد الرخيص، وليجعلها حافلة بمشاعر زكي وانقى نحو الناس ونحو الحياة في كل يوم، وفي كل اسبوع، وفي كل عام تمر النفوس من آداب الاسلام في مصفاة تحجز الأكدار، وتنقي العيوب، ولا تبقي في الأفئدة المؤمنة اثاره من ضغينة اما في كل يوم! فقد أوضح الاسلام أن الصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها الا اذا اقترنت بصفاء القلب للناس، وفراغه من الغش والخصومات. قال رسول الله: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا: رجل أم قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، واخوان متصارمان». واما في كل أسبوع، فان هناك احصاء ما يعمله المسلم، ينتظر الله فيه ليحاكم المرء الى ما قدمت يداه، واسرّه ضميره، فان كان سليم الصدر نجا من العثار، وان كان ملوثا بمآثم الغضب والحسد والسخط، تأخر في المضمار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس: فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا، الا امرءا كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا». واما في كل عام فبعد تراخي الليالي وامتداد الأيام، لا ينبغي ان يبقى المسلم حبيسا في سجن العداوة، مغلولا في قيود البغضاء فان لله في دنيا الناس نفحات لا يظفر بخيرها الا الأصفياء السمحاء! ففي الحديث: «ان الله عز وجل يطلع على عباده، ليله النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم» فمن مات بعد هذه المصافي المتتابعة، والبغضاء لاصقة بقلبه لا تنفك عنه، فهو جدير بأن يصلى حر النار فان ما عجزت الشرائع عن تطهيره، لا تعجز النار عن الوصول الى قراره، وكي اضغانه واوزاره.

■ الطموح ينافي الحسد وهو رغبة في الرفعة وسعي إليها وذلك شأن الصالحين من عباد الله

■ لا حسد إلا في اثنتين مال ينفق في الحق وحكمة تُعلم ويُقضى بها ابتغاء مرضاة الله

■ استنكار العوج في الأوضاع إقرار للعدالة الواجبة كالغضب على عامل يأخذ الكثير على جُهد قليل

ما تعرض له الصحابة من ابتلاء (6)

عثمان بن مظعون وخالد بن سعيد تضحية بالدنيا من أجل الآخرة

كان اسلام خالد بن سعيد بن العاص قديمًا، لرؤيا رآها عند أول ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، اذ رأى كأنه وقف على شفير النار، وهناك من يدفعه فيها، والرسول يلتزمه لئلا يقع، ففزع من نومه، معتقدًا أن هذه الرؤيا حق، فقصها على ابي بكر الصديق، فقال له: أريد بك خيرًا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه، فذهب اليه فاسلم، واخفى اسلامه خوفًا من ابيه، لكن اباه علم لما رأى كثرة تغيبه عنه، فبعث اخوته الذين لم يكونوا قد اسلموا بعد في طلبه، فجيء به، فأتبه وضربه بمقرعة او عصا كانت في يده حتى كسرها على رأسه، ثم حبسه بمكة، ومنع اخوته من الكلام معه، وحذرهم من عمله، ثم ضيق عليه الخناق فاجاعه، وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر محتسب، ثم قال له أبوه: والله لامنعنك القوت، فقال خالد: ان منعتني فان الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بكرمه، ويكون معه، ثم رأى أن يهاجر الى الحبشة مع من هاجر اليها من المسلمين في المرة الثانية.

عثمان بن مظعون رضي الله عنه لما أسلم اعتدى عليه قومه بنو جمح فآذوه، وكان أشدهم عليه واكثرهم ايذاء له امية بن خلف، ولذلك قال بعد أن خرج الى الحبشة يعاتبه:

أخرجتني من بطن مكة آمنا
وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا بواتيك ريشها
وتبري نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة
واهلكت أقواما بهم كنت تفزع
ستعلم ان ثابتك يومًا ملمة
وأسلمك الأوباش ما كانت تصنع

وبقي عثمان بن مظعون فترة في الحبشة، لكنه لم يلبث أن عاد منها ضمن من عاد من المسلمين في المرة الأولى، ولم يستطع ان يدخل مكة الا بجوار من الوليد بن المغيرة، حيث ظل يغدو في جواره آمنا مطمئنا، فلما رأى ما يصيب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من البلاء، وما هو فيه من العافية أنكر ذلك على نفسه، وقال: والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي، فذهب الى الوليد بن المغيرة وقال له: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، وقد رددت اليك جوارك، فقال: لم يا ابن أخي؟ فلعلك أوذيت، أو انتهكت، قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق الى المسجد فاردد علي جواري علانية، كما أجرتك علانية، فانطلقا الى المسجد فرد عليه جواره أمام الناس، ثم انصرف عثمان الى مجلس من مجالس قريش فجلس معهم، وفيهم لبيد بن ربيعة الشاعر يتشدهم فقال لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» فقال عثمان: صدقت، واستمر لبيد في انشاده فقال: «وكل نعيم لا محالة زائل» فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول، قال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فاخضرت، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي ان عينك لغنية عما أصابها، ولقد كنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، ثم عرض عليه الوليد الجوار مرة أخرى فرفض.

وهذا يدل على مدى قوة ايمانه، ورغبته في الأجر، والمثوبة عند الله، ولذلك لما مات، رأت امرأة في المنام أن له عينا تجري، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال: «ذلك عمله».

وغير ذلك من الصحابة الكرام تعرض للتعذيب، وهكذا نرى أولئك الرهط من الشباب القرشي، قد أقبلوا على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم واستجابوا لها والتفوا حول صاحبها، على الرغم من مواقف آبائهم وذويهم وأقربائهم المتشددة تجاههم، فضحوا بكل ما كانوا يتمتعون به من امتيازات قبل دخولهم في الاسلام، وتعرضوا للفتنة رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر والثواب، وتحملوا أذى كثيرًا، وهكذا فعل الايمان في النفوس، عندما يخالطها فتستهين بكل ما يصيبها من عنت وحرمان، اذا كان ذلك يؤدي الى الفوز برضا الله تعالى وجنته.

هذا، ولم يكن التعذيب والأذى مقصورًا على رجال المسلمين دون نسائهم، وانما طال النساء أيضا قسط كبير من الأذى والعنت بسبب اسلامهن كسمية بنت خياط وفاطمة بنت الخطاب ولبيبة جارية بني المؤمل، وزنيرة الرومية، والنهدية وابنتها، وأم عبيس، وحمامة أم بلال وغيرهن.

«وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ »

الزواج الطريق الشرعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية

حث الاسلام على علاج مسألة غض البصر علاجا نفسيا وقائيا مؤكدا انه لابد من مواجهتها بحلول واقعية ايجابية هذه الحلول الواقعة هي تيسير الزواج، والمعاونة عليه ؛ مع تصعيب السبل الأخرى للمباشرة الجنسية أو اغلاقها نهائيا فقال تعالى:

«وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. والله واسع عليم. وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم، ان علمتم فيهم خيرا – وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء، ان أردن تحصنا – لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم».

ان الزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية، وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة.

«وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (32).

فيجب أن تزول العقبات من طريق الزواج. لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها. والعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت، وتحصين النفوس. والاسلام نظام متكامل، فهو لا يفرض العفة الا وقد هيأ لها أسبابها، وجعلها ميسورة للأفراد الأسوياء. فلا يلجأ الى الفاحشة حينئذ الا الذي يعدل عن الطريق النظيف الميسور عامدا غير مضطر.

لذلك يأمر الله الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم الى النكاح الحلال.

والأيامى هم الذين لا أزواج لهم من الجنسين.. والمقصود هنا الأحرار. وقد أفرد الرقيق بالذكر بعد ذلك: «والصالحين من عبادكم وامائكم».

وكلهم ينقصهم المال كما يفهم من قوله بعد ذلك: «ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله».

وهذا أمر للجماعة بتزويجهم. والجمهور على أن الأمر هنا للندب ودليلهم انه قد وجد أيامى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزوجوا، ولو كان الأمر للوجوب لزوجهم. ونحن نرى أن الأمر للوجوب، لا بمعنى أن يجبر الامام الأيامى على الزواج، ولكن بمعنى أنه يتعين اعانة الراغبين منهم في الزواج، وتمكينهم من الاحصان، بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية، وتطهير المجتمع الاسلامي من الفاحشة. وهو واجب ووسيلة الواجب واجبة.

وينبغي أن نضع في حسابنا مع هذا – أن الاسلام بوصفه نظاما متكاملا يعالج الأوضاع الاقتصادية علاجا أساسيا، فيجعل الأفراد الأسوياء قادرين على الكسب، وتحصيل الرزق، وعدم الحاجة الى مساعدة بيت المال ولكنه في الأحوال الاستثنائية يلزم بيت المال ببعض الاعانات، فالأصل في النظام الاقتصادي الاسلامي أن يستغني كل فرد بدخله وهو يجعل تيسير العمل وكفاية الأجر حقا على الدولة واجبا للأفراد. أما الاعانة من بيت المال فهي حالة استثنائية لا يقوم عليها النظام الاقتصادي في الاسلام.

فاذا وجد في المجتمع الاسلامي – بعد ذلك – أيامى فقراء وفقيرات، تعجز مواردهم الخاصة عن الزواج، فعلى الجماعة أن تزوجهم. وكذلك العبيد والاماء. غير أن هؤلاء يلتزم أولياؤهم بأمرهم ما داموا قادرين.

ولا يجوز أن يقوم الفقر عائقا عن التزويج – متى كانوا صالحين للزواج راغبين فيه رجالا ونساء – فالرزق بيد الله. وقد تكفل الله بإغنائهم. ان هم اختاروا طريق العفة النظيف: «ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف».

وفي انتظار قيام الجماعة بتزويج الأيامى بأمرهم بالاستعفاف حتى يغنيهم الله بالزواج: «وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله»... «والله واسع عليم»... لا يضيق على من يبتغي العفة، وهو يعلم نيته وصلاحه.

وهكذا يواجه الاسلام المشكلة مواجهة عملية، فيهيئ لكل فرد صالح للزواج أن يتزوج، ولو كان عاجزا من ناحية المال والمال هو العقبة الكؤود غالبا في طريق الاحصان.

الآيات نفت الزعم بأن العظام والعضلات تتكونان في وقت واحد

تطور الجنين داخل رحم الأم يتم كما وصفه القرآن

قال تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [سورة المؤمنون: 13,14].

إن الله سبحانه وتعالى يبين لنا مراحل خلق الإنسان حيث يمر بمرحلة النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم يخلق الله سبحانه من المضغة العظام ثم تكسى العظام باللحم الذي هو عبارة عن العضلات.

ظل المختصون في علم الأجنة وهو العلم الذي يدرس تطور الجنين في رحم الأم حتى فترة قريبة يفترضون أن العظام والعضلات تتكون في وقت واحد ولكن الأبحاث المكروسكوبية المتطورة التي أمكن إجراؤها بفضل التطور التقني كشفت أن الوحي القرآني صحيح تماما.

هذه الأبحاث الميكروسكوبية أثبتت أن تطور الجنين داخل رحم الأم يتم كما وصفته آيات القرآن، فأولا تتكون الأنسجة الغضروفية التي تتحول إلى عظام الجنين، ثم تكون بعدها خلايا العضلات ثم تتجمع مع بعضها وتتكون لتلتف حول العظام.

والموضوع كله تشرحه نشرة علمية تحت عنوان تكون الإنسان كما يلي: «خلال الأسبوع السابع يبدأ الهيكل العظمي بالانتشار في الجسم وتأخذ العظام شكلها المألوف، وفي نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسبوع الثامن تأخذ العضلات وضعيتها حول أشكال العظام».

وباختصار فإن وصف القرآن الكريم لمراحل تكون الجنين ينسجم انسجاما كاملا مع مكتشفات علم الأجنة الحديث.

جاء القرآن على ذكر المراحل المتعددة لتكون الوليد في رحم الأم. وكما تذكر الآية 14 من سورة المؤمنون فإن عظام الجنين في رحم الأم تتشكل أولا ثم تكسى بخلايا العضلات.

ويصف الله سبحانه وتعالى هذا التطور في الآية الكريمة بقوله: «فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما».